في هذه المأساة »(٦). حتى ان صحيفة بلجيكية ادعت ان الفدائيين كانوا ينوون القاء القبض على ممثل المانيا الغربية ولكنهم احتجزوا السيد غي عيد بدلا عنه ثم قتلوه لاعتقادهم انه من اصل يهودي »(٧) وذهبت مجلة بلجيكية معروفة بعدائها للثورة الفلسطينية الى القول بأن الفلسطينيين صرخوا في وجه الدبلوماسي البلجيكي : « انك يهودي قذر ! لقد فقدت ايلول الاسود احد رجالها في بروكسل . ستدفع انت ثمن ذلك »(٨) وكل هذا بالطبع مختلق . اولا لان ايلول الاسود لم تفقد ابا من رجالها في بروكسل . وثانيا لان المجلة تنقل ما تدعي ان الفدائيين قالوه للدبلوماسي البلجيكي قبل اطلاق الرصاص عليه في كهف السفارة . ولم يكن في ذلك المكان في تلك اللحظة الا الدبلوماسيين الذين قتلوا ورجال ايلول الاسود ... فمن اين استقت المجلة هذا النبأ ؟ واضطر اخيرا السيد جورج عيد شقيق القائم بالاعمال البلجيكي الى عقد مؤتمر صحفي يؤكد فيه : « لسنا يهودا . ونحن من اصل سوري لبناني نحمل الجنسية البلجيكية . وقد وقفنا دائما الى جانب القضية العربية ... »(٩).

الواقع ان التفسير الجدي والمنطقي الوحيد لمقتل السيد غي عيد هو الذي قدمه السيد بول ستروي رئيس مجلس الشيوخ والذي لمحت اليه او ذكرته بصراحة الصحف البلجيكية الكبرى(١٠). اي رغبة اسرائيل في اقامة مصنع للاسلحة في بلجيكا . والواقع ان هذا المشروع قد اثار ضجة كبيرة في الاوساط النقابية والصحفية والتقدمية وحتى في الاوساط الصناعية . وقصة هذا المصنع طويلة تستحق الدراسة لانها معركة بين الاعلام العربي والفلسطيني من جهة والنفوذ الصهيوني من جهة أخرى . وهي ايضا مثال فريد من نوعه للصراع الذي يمكن ان يقوم بين الرأي العام في اي بلد اوروبي وبين النفوذ الصهيوني المتغلغل في الاوساط التي تسيطر على رأس المال . كما ان قصة هذا المصنع تجربة حية لاعلام فلسطيني منفتح وغير اعتباطي وذكي بامكانه استغلال كل العناصر المعادية لمشروع معين حتى ولو لم تكن هذه العناصر حليفة حقيقية للثورة الفلسطينية . وفي هذا الموضوع بالذات فقد استغل الاعلام الفلسطيني عداء بعض المنظمات والفئات لانتاج الاسلحة في بلجيكا . كما تمكن من استغلال نوع من التنافس الشديد بين رجال الاعمال والصناعة . واخيرا تعاون في محاولة افشال هذا المشروع مع المنظمات التقدمية التي تدعم القضية الفلسطينية باخلاص .

وقبل سرد قصة المصنع الاسرائيلي لا بد من تقديم بعض الايضاحات حول الوضع في بلجيكا وذلك يسهل فهم بعض خفايا الامور . هناك نزاع قديم قائم بين المنطقة الفلمنكية الناطقة باللغة النيذرلندية (الهولندية) وعدد سكانها حاليا ٥ ملايين وبين المنطقة الوالونية الناطقة بالفرنسية وعدد سكانها ٣ ملايين . وتحاول كل من المنطقتين السيطرة سياسيا واقتصاديا على منطقة العاصمة بروكسل وعدد سكانها مليون نسمة . وكانت المنطقة الوالونية غنية ومزدهرة في الماضي بسبب وجود عدد كبير من مناجم الفحم فيها . وقد استغلت المنطقة الفلمنكية سنوات عديدة اقتصاديا وسياسيا . الا ان مناجم الفحم اقفلت تدريجيا . وتطورت الامور لصالح المنطقة الفلمنكية التي تمكنت من اقامة صناعات جديدة حديثة . وتستغل تفوقها السكاني لاستعادة كل ما يعود اليها من حقوق سياسية وبرلمانية . اما المنطقة الوالونية فتعاني من أزمة اقتصادية دقيقة .

استقالت الحكومة البلجيكية التي كان يرأسها السيد غاستون ايسكينز في شهر تشرين الاول الماضي . والسيد ايسكينز من الحزب المسيحي الذي كان قد شكل تلك الوزارة بالتعاون مع الحزب الاشتراكي البلجيكي . وكان يشغل منصب وزير الاقتصاد في تلك الوزارة السيد هنري سيمونيه (اشتراكي) المعروف بدعمه لاسرائيل وحرصه الشديد على حماية المصالح الاسرائيلية في بلجيكا. وكان يشغل السيد كلوز (وهو ايضا اشتراكي من منطقة ليج) منصب سكرتير الدولة للاقتصاد الاقليمي في المنطقة الوالونية . والحزب الاشتراكي البلجيكي من اكثر الاحزاب البلجيكية دعما لاسرائيل مع الحزب الليبرالي الذي يمثل اقصى اليمين .

شكل السيد ادمون لوبيرتون الوزارة الجديدة بعد مباحثات طويلة شاقة وشائكة استمرت اكثر من شهرين . واشترك في هذه الوزارة الجديدة ممثلون عن الاحزاب البلجيكية الكبرة الثلاثة : الحزب المسيحي والحزب الاشتراكي والحزب الليبرالي . وكان السيد لوبيرتون اول شخصية اشتراكية والونية ترأس الوزارة في بلجيكا . ولم يعد السيد سيمونيه يشغل منصب وزير الاقتصاد لانه عين ممثلا لبلجيكا في اللجنة الاوروبية . وحل محله في الوزارة الجديدة السيد ويلي كلاز وهو ايضا اشتراكي